دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	بيوت الطيور على العمارة التركية : دراسة حضارية آثارية
المصدر:	مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة جازان
المؤلف الرئيسي:	غندر، إبراهيم صبيحي
المجلد/العدد:	مج2, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	رجب / مايو
الصفحات:	1 - 26
رقم MD:	752932
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحضارة التاريخية، الفنون المعمارية، البيوت التركية، الآثار، تركيا
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/752932

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

بيوت الطيور على العمارة التركية "دراسة حضارية آثاريه"

إبراهيم صبحي غندر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة جازان –المملكة العربية السعودية

كلية الآثار –جامعة الفيوم –جمهورية مصر العربية

الملخص

يناقش البحث بيوت الطيور كأحد التحف الفنية التي أبدعها الفنان المسلم على العمارة الإسلامية موضحا عناية الإسلام بالطير وأسباب اهتمام المسلمين بالطيور ونشأة هذه البيوت وتطورها التاريخي والمعماري الفني وأنماطها الهندسية وأحجامها وقياساتها ودلالاتها ومواد وأساليب بنائها ومواضعها على المنشآت وتصميماتها الداخلية والخارجية وزخارفها وطرزها الفنية المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: آثار إسلامية –بيوت الطيور –مساجد –قناطر –أسبله –مآذن –بلكونات –زخارف –قباب –درابزينات

تمهيد

الطيور هي من الحيوانات الجميلة ذات الصوت الرنان والمظهر الخلاب وقد تعلم الإنسان منها فنون الغناء والرقص والاستعراض والغزل وهي من ذات الدم الحار وقد عرف من أنواعها حوالي ٩٠٠٠ نوع، يغطي جسمها الريش ولها أجنحة، وعظام مجوفة وهذا مما يساعدها على الطيران، ولها ساقان ذوا جلد محرشف عادة، وتتكاثر عن طريق البيض ومنها ما يلد كالخفافيش. وأغلبها يمكنه الطيران، وبعضها لا يطير، (١). وغذاؤها متباين ومختلف بصورة كبيرة، فبعضها يعتمد على عصائر الفواكه ورحيق الزهور، والبعض الآخر يعتمد على الحبوب والحشرات والقوارض والفئران والأسماك والحيوانات الميتة أو الطيور الأصغر منها. وأكثر الطيور نهارية تكون مستيقظة ونشطة مع بداية النهار وتبقى في سعيها وراء طعامها طوال اليوم، والبعض الآخر ليلي كالبوميات ينشط في الليل ويهدأ ويسكن نهارا. والعديد منها يرتحل ويسافر لمسافات بعيدة قد تستغرق أياما طويلة بحثا عن غذائها وأماكن تكاثرها (٢) فتراها ترحل بين الشمال والجنوب وراء الدفء (٣)، وأغلب الطيور تجمعها خاصية الحركة والديناميكية العالية ولها مناقير قوية بدون أسنان تتنوع أشكالها بما يتناسب وطبيعة حياة كل نوع منها، وهي ذات هيكل عظمي خفيف وقوي، وأغلبها تعتني ببيضها فتبني له الأعشاش المناسبة وتحتضن أفراخها وتطعمها وتعتني بها (٤). وقد تابع علماء الأحياء الطيور أكثر من بقية الحيوانات الأخرى. وأما عن التزاوج فنجد أن بعض ذكور الطيور لها قضيب كالطيور المائية وطيور النعام والدجاج الرومي (التركي) وبقية الذكور ليس لها أعضاء جنسية ظاهرة يمكن أن ترى ولكن لها خصيتان، ففي فصل التكاثر وعندما تبحث الطيور عن شريكها تكبر خصيتا الذكور عدة مرات، وكذلك مبايض الإناث، فالطيور التي ليس لديها قضيب تترك الحيامن في تجويف لها بالمخرج ومن خلال الضغط مع الأنثى يتم التلقيح. وبعد أن تبيض الإناث فمنها من يحتضن بيضه ومنها من يترك ذلك للذكر أو يشاركه فيه، ومنها من يترك العناية بالبيض لطيور أخرى ومنها من يدفن البيض بالرمل (٥) وعند خروج الأفراخ من بيضها يقوم الأبوان الذكر والأنثى بالعناية ومساعدة أفراخها على العيش حتى تنمو ويشتد ساعدها، بينما لا تحتاج بعض أفراخ أنواع أخرى إلى عناية خاصة فتعيش وحدها وتعتمد على نفسها بعد التفريخ، وكذا الطيور التي تبني

---

(١) كطيور الدودو المنقرضة والبطريق والكيوي والنعام.

(٢) كطيور الخطاف ترحل عبر البحر القطبي بين القطب الشمالي والقارة القطبية الجنوبية كل سنة، أما طيور القطرس المتجول فتقضي معظم فصول السنة في البحر.

(٣) Lincoln, F. C. (١٩٣٥) "Migration of the birds" p.١٩, U.S.A.

(٤) Orsi, G. (٢٠٠١) "saving Europe's most threatened birds: Progress in implementing European species action plans", p ٥٣، oxford.

(٥) Venable, N. J. (١٩٩٦) "birds of brey" p ٢٤, U.S.A.

أعشاشها على الأرض سرعان ما تخرج أفراخها وتنطلق في البرية. وبعض الطيور تعيش كأزواج طوال عمرها [٦] وبعضها الآخر يقترن بأنثى مختلفة في كل موسم من مواسم التزاوج وهناك طيور يتزاوج الذكر فيها مع أكثر من أنثى مثل الدجاج.

الطيور في التشريع الإسلامي

سوف نمهد للموضوع بما حظيت به الطيور من مكانة متميزة لدى بني البشر منذ بداية الخلق وحتى الآن حيث إن الإنسان اعتبرها قادرة على أن تصل إلى ما لا يستطيع هو الوصول إليه وقد افتتن بها كثير من أهل الحضارات القديمة فاتخذوها آلهة تعبد وأنزلوها منازل القداسة والإلوهية كما حدث في الحضارة الفرعونية حيث عبدوا الصقر وغيره من الطيور الأخرى التي صوروها مجسمة في شكل تماثيل زخرت بها معابدهم كما رسموها ونقشوها على مسلاتهم وقصورهم بل استخدموها كذلك كرموز لغوية كتبوا بها لغتهم الهيروغليفية في سائر مراحل تطورها، ومن أكثر ما تعلمه الإنسان من الطير فنون الطيران، وقد كانت الطيور هادية له أيضا في كثير من الدروب والفيافي والجبال والوديان بل إن العرب قبل الإسلام اعتمدوا عليها فيما يسمى بالتطير في سائر شؤونهم وهو ما نهى عنه الإسلام فيما بعد [٧] كما اعتمد العرب والمسلمون قديما وحديثا عليها في فنون الصيد خاصة الصقور التي كانوا ومازالوا يقدرونها تقديرا بل بلغ الحد بالكثير من سلاطينهم وأمرائهم أن يتخذوها شعارات ورموزا لهم كالنسر الذي اتخذه السلاجقة ومن بعدهم الأيوبيين والمماليك شعارا لبعض سلاطينهم فنقشوه على كثير من منشآتهم التي لا تزال باقية حتى الآن [٨].

واعتبر الأتراك طائر أبي منجل الأصلع التي كانت أسرابه ترافق موكب الحجيج البري طيورا مقدسة أرسلها الله تعالى لترافق تلك المواكب وتدلهم على مسار الطريق باتجاه الأراضي الحجازية كما اعتبره الفراعنة رمزا للإشراق والتألق والحكمة، كما ورد ذكره في الإنجيل على أنه الرسول الخصب الذي أطلقه سيدنا نوح من الفلك.

ولقد ألهم الله عز وجل كل خلق خلقة الفطرة السليمة التي تمكنه من العيش في سلام وتوافق مع سائر المخلوقات، ولقد علم سبحانه وتعالى الطير كما علم الإنسان ما لم يعلم إذ يقول ربنا عز وجل في محكم التنزيل (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا (مَا يُمْسِكُهُنَّ) أي في الجو (إِلَّا الرَّحْمَنُ) أي بما يسخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) [٩] أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [١٠].كما قال سبحانه وتعالي أيضا (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [١١] كناية عن أن هذه الطيور تسبح وتصلي كما يصلي بنو البشر ويسبحون والكائن الذي علمه الله التسبيح والصلاة لابد أن يكون قد علمه سلفا الأكل والشرب والطير والتزاوج والتكاثر والكلام والمغازلة والاستعراض والسفر والهجرة والمسالك والطرق والصيف والشتاء وسائر ما سينتفع به في حياته وصدق عز وجل إذ يقول في كتابة العزيز (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [١٢].

---

(٦) مثل الحمام والإوز وطيور الكركي اليابانية فيبقى الطير الذكر مرافقا لأنثاه.

(٧) كان العرب في الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمر قصد عش طائر فهيجه فإذا طار من جهة اليمين تيمن به ومضى في الأمر، ويسمون الطائر "السانح"، أما إذا طار جهة اليسار تشاءم به ورجع عما عزم عليه، ويسمى الطائر هنا " البارح " انظر: مفتاح دار السعادة ٢٦٨/٣ قال النووي رحمه الله تعالى: "التطير هو التشاؤم وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير ينفع ولا يضر" ا. هـ الديباج على صحيح مسلم ٢٤١/٥

(٨) Mayer, L. A. (١٩٣٣) "Saracenic Heraldry" p. ٢٧, Oxford.

(٩) القرآن الكريم، سورة الملك آية ١٩.

(١٠) القرآن الكريم، سورة النحل آية ٧٩.

(١١) القرآن الكريم، سورة النور آية ٤١.

(١٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام آية ٣٨.

فللطير إذا لغته وإشاراته كما قال ربنا (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) (١٣) كناية عن أن للطير لغته التي يتفاهم بها وأن هذه اللغة لا يمكن لأحد فهمها إلا بعون من الله سبحانه وتعالى ذلك أنها لغة شديدة الصعوبة. وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد ذكر الطير أيضا في العديد من آي القرآن الكريم (١٤) إجمالا أو تفصيلا، كما زخرت السنة النبوية المطهرة بالعديد من الأحاديث النبوية المتعلقة بالطير بصفة خاصة. ولأن نظرة الإسلام للحيوان عموما هي نظرة واقعية ترتكز على أهميته في الحياة ونفعه للإنسان وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة فمن هنا كان الحيوان ملء السمع والبصر في كثير من مجالات الفكر والتشريع الإسلامي ولا أدلَّ على ذلك من أن عدة سور في القرآن الكريم وضع الله سبحانه وتعالى لها العناوين من أسماء الحيوان بصفة عامة (١٥)، كما ذكرت بعض أنواع من الطير صراحة في القرآن كالهدهد والغراب، وذكرت أنواع أخرى تلميحا كالطير الأبابيل كما في سورة الفيل ولحم الطير الذي يشتهيه الإنسان (١٦) ويؤكد القرآن الكريم في كثير من آياته على تكريم الحيوان وبيان مكانته وتحديد موقعه إلى جانب الإنسان كناية عن أهميته ومشاركته للإنسان في كثير من مجالات الحياة، كما أكدت السنة النبوية –وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي – على ذلك إذ ورد بها العديد من الأحكام والأسس الشرعية المتعلقة بهذه الطيور التي تندرج الغالبية العظمى منها تحت موضوع الرفق بصفة عامة. ومما ورد فيها ما رواه النسائي عن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله "لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة" (١٧). ومن ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فلما جاء رسول الله قال "من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها"، وعن الشريد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة" (١٨)، وعن ابن عمر أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا أو دجاجة يترامونها وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضا" (١٩).

شكل رقم (١) قيصرية –مدفن جوهر سلطان ق (٧هـ/ ١٣ م) – الواجهة الشمالية

(١٣) القرآن الكريم، سورة النمل آية ١٦.

(١٤) فقد ورد ذكره في كل من سورة البقرة آية ٢٦٠، سورة آل عمران آية ٤٩، سورة المائدة آية ١١٠، سورة يوسف الآيتين ٣٦،٤١، سورة الحج آية ٣١، سورة النمل الآيتين، ١٧، ٢٠، سورة الملك آية ١٩، سورة الواقعة آية ٢١، سورة الفيل آية ٣، سورة ص الآيتين ١٩، ١٤٦. سبأ آية ١٠، سورة الأنبياء آية ٧٩.

(١٥) مثل سورة البقرة والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت والفيل.

(١٦) القرآن الكريم، سورة الواقعة آية ٢١.

(١٧) حديث مرفوع رواه أبو داود وابن حبان في صحيحة، إلا أنه قال: "فإنه يدعو للصلاة" على ما نقله ألمنذري ج ٥، ص ١٣٣.

(١٨) رواه النسائي وابن حبان في صحيحة.

(١٩) رواه البخاري ومسلم.

شكل رقم (٢) أيوب –جامع أبو أيوب الأنصاري (٨٦٢ هـ/ ١٤٥٨ م) كتلة المدخل.

أسباب اهتمام المسلمين بالطيور

لقد كان للطيور بصفة عامة أهميتان رئيستان لدى المسلمين الأولى تمثلت في تحصيل الأجر والثواب عند الله سبحانه وتعالى نتيجة لرعايتها بصفة عامة سواء كانت طليقة في الأجواء أو حبيسة في الحدائق والبيوت والمتنزهات الخاصة أو العامة وهذا الأجر هو ما بينته الشريعة الإسلامية فيما ورد من أحاديث الرسول صلى الله علية وسلم وأقوال السلف الصالح وقد عرضت فيما سبق شيئا منها، أما الأهمية الثانية فهي أهميتها للناس في حياتهم الدنيوية حيث استخدمت هذه الطيور للزينة داخل البيوت والقصور والحدائق والمتنزهات الخاصة والعامة للتمتع بأشكالها البديعة وألوانها الرائعة والاستمتاع بتغريدها المتميز وكذلك حركاتها ورقصاتها المتنوعة وهو ما كان يدخل السرور على قلوب الكثيرين ممن اهتموا بهذه الجوانب، أيضا كانت هذه الطيور تمثل نوعا من المتاجر خاصة طيور الحمام [٢٠] التي لازالت حتى الآن تباع وتشترى في أسواق خاصة بها كسوق الحمام بقرافة الإمام الشافعي بالقاهرة، وقد أصبح الحمام يمثل نوعا من هذه المتاجر [٢١] نتيجة لأهميته البالغة في نقل البريد خلال مختلف حقب العصور الإسلامية، وقد كان نتيجة لاستخدامه في نقل البريد أن عملت له الأبراج وجهزت لهذا الغرض واختيرت لها مواضع معينة تخدم أغراض نقل البريد، كما استخدم الحمام في الأغراض الزراعية حيث اكتشفت فيما بعد ذلك أهمية فضلاته بالنسبة للتربة إذ استخدمت كسماد قوي وفعال في كثير من مناطق الدولة الإسلامية كأصفهان بإيران، التي لا يزال بها العديد من أبراج الحمام حتى الآن [٢٢]، أما عن أهميتها في مجال العلاقات السياسية فقد كانت الطيور من أهم الهدايا التي يتم تبادلها بين الزعماء والرؤساء في مجال العلاقات السياسية والدبلوماسية فقد كان لها رمزية معينة ودلالات خاصة لدى كل الزعماء والقادة.

---

(٢٠) أفرد القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا جزءا خاصا بهذه الطيور فذكر أنه اسم جنس يقع على هذا الحمام المتعارف عليه بين الناس وعلى اليمام والدباسي والقماري والفواخت وغيرها، وأن المتبادر إلى فهم السامع عند ذكر الحمام هو هذا النوع المخصوص وأن أغلاه قيمة وأعلاه رتبة الحمام الرسائلي وهو الذي يتخذه الملوك لحمل المكاتبات ويعبر عنه بالهدى. كما ذكر ألوانها وبين الفرق بين الذكر والأنثى وصفة الطائر الفاره والفراسة في نجابته في حال صغره، والزمان والمكان اللائقين بالإفراخ وما يجري مجرى ذلك مما يحتاج إليه الكاتب عند وصفه لبيان النجيب منه من غيره، ومما ذكر عنه أن أول من اعتنى به خلفاء بني العباس: كالمهدي ثالث خلفائهم والناصر، وتنافس فيه رؤساء الناس في العراق لاسيما بالبصرة: فقد ذكر صاحب "الروض المعطار " أنهم تنافسوا في اقتنائه ولهجوا بذكره وبالغوا في أثمانه حتى بلغ ثمن الطائر الفاره منها سبعمائة دينار.

(٢١) يذكر القلقشندي أيضا أن ثمن طائر من الحمام جاء من خليج القسطنطينية إلى البصرة ألف دينار. وكانت تباع بيضتا الطائر المشهور بالفراهه بعشرين دينارا، وأنه كان عندهم دفاتر بأنساب الحمام كأنساب العرب، وأنه كان لا يمتنع الرجل الجليل ولا الفقيه ولا العدل من اتخاذ الحمام والمنافسة فيه والإخبار عنها والوصف لأثرها والنعت لمشهورها حتى وجه أهل البصرة إلى بكار بن شيبة البكراني قاضي مصر "وكان فضله وعقله ودينه وورعه على ما لم يكن عليه قاض" بحمامات لهم مع ثقات وكتبوا إليه يسألونه أن يتولى إرسالها بنفسه ففعل، وكانوا لا يرون بذلك بأسا.

(٢٢) Amirkhani,A., Okhovat, H. and Zamani, E. (٢٠١٠) "Ancient Pigeon Houses: Remarkable Example of the Asian Culture Crystallized in the Architecture of Iran and Central Anatolia " p. ٤٨, Asian Culture and History , Vol. ٢, No. ٢, July.

شكل رقم (٣) أماسيا –جامع السلطان بايزيد (٩٠٦–٩١١ هـ/ ١٥٠١–١٥٠٦ م) – الواجهة الغربية

هذا وقد كانت هناك عديد من الشواهد التاريخية على مدى حب المسلمين ورعايتهم للطيور من ذلك ما رواه أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ عن محاسن الأمير أحمد بن مروان أبي نصر الكردي صاحب ديار بكر وميافراقين الذي لم يتمتع البشر فقط في عهده بالرخاء والإحسان –كما يذكر المؤلف –بل إنه شمل الطيور الوافدة إلى بلده بالرعاية والأمن والغذاء وذلك حين بلغه أن الطيور تخرج في الشتاء من الجبال إلى القرى فيصطادها الناس فأمر بفتح الأهراء –وهي مخازن الغلال والحبوب – وأن يطرح منها على الدوام لهذه الطيور ما يشبعها فظلت طوال حياته هكذا في ضيافته [٢٣]. كما عرف عن كثير من السلاطين حبهم للحيوانات والطيور المغردة ومنهم "الغوري" أخر سلاطين المماليك العظام الذي أنشأ حديقة خاصة بالحيوانات والطيور بالقاهرة في العصر المملوكي الجركسي [٢٤] وقد كانت الطيور من أكثر ما يتهادى به بين السلاطين والأمراء وذلك لدلالاتها المعبرة ورمزيتها ومن ذلك ما قام به ريتشارد ملك إنجلترا من إهدائه لبعض الطيور الجارحة للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي وذلك أثناء المفاوضات التي استمرت فيما بينهما إبان الحروب الصليبية، وكذلك ما قام به صلاح الدين نفسه –أثناء وجوده في مصر وتمسكه بالبقاء بها دون الرجوع للشام خشية من مولاه وسيده نور الدين محمود –من إرساله بهدية له كان بها بعض من طيور الزينة [٢٥].

شكل رقم (٤) إستانبول –جامع بالي باشا (٩٠٩ هـ/ ١٥٠٤ م) – الواجهة الشرقية

ومن أكثر ما ذكره المؤرخون عن حب الطيور ومدى تعلق الأمراء بها ما ذكره المؤرخون عن خمارويه ابن احمد ابن طولون وحدائقه التي فاضت بالحديث عنها كتب التاريخ فمما نقله المقريزي على سبيل المثال ذلك البرج الذي بناه من خشب الساج المنقوش بالنقر النافر والمطعم وقد أقامه بدلا من الأقفاص وزوقه بأصناف الأصباغ وبلط أرضه وجعل في تضاعيفه أنهارا لطافا جداولها يجري فيها الماء مدبرا من السواقي التي تدور على الآبار العذبة ويسقى منها الأشجار وغيرها، وسرح في هذا البرج من أصناف القماري والدباسي والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الأنهار الجارية في البرج، كما جعل فيها أوكارا في

---

(٢٣) أبو الفرج عبد الرحمن ابن على ابن محمد ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ص ١٨٢، بيروت، ١٩٩٢م.

(٢٤) حسن عبد الوهاب، تنظيم القاهرة وتخطيطها منذ نشأتها وحتى عصر محمد على، ص ١١، مقال ضمن دورية المجمع العلمي المصري عدد ١٢ سنة ١٩٦٨م.

(٢٥) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في العصور الوسطى، ص ٢١٣، القاهرة، ١٩٩٠م.

قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض لها فيها عيدانا ممكنة في جوانبها لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح، كما سرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئا كثيرا (٢٦).

شكل رقم (٥) بايكشمك – قنطرة سوكلو محمد باشا (٩٧٠ –٩٧٤هـ/١٥٦٣–١٥٦٧م) –برج المدخل الشرقي.

وقد كانت الطيور بصفة عامة بأشكالها البديعة والمتنوعة وألوانها الرائعة المتناسقة وأجسامها الرشيقة ورقصاتها الإيقاعية النادرة مصدر إلهام لكثير من الفنانين في العصر الإسلامي حيث استخدموها كعناصر زخرفية امتلأت بها المخطوطات والألبومات وكذلك المرقعات الفنية التي منها ما كان مخصصا لمنافع هذه الطيور ودراستها دراسة علميه مستقلة ومنها ما كان مخصصا فقط لإبراز جماليات مختلف نوعياتها في مختلف بيئات الإمبراطورية الإسلامية مترامية الأطراف، هذا بالإضافة لتمثيلها وتنفيذها كعناصر زخرفية طبيعية على مختلف نوعيات المنتجات الفنية التطبيقية كالأخشاب والمنسوجات والخزفيات والتحف المعدنية والرخامية والحجرية والجصية، كما أن الخطاطين قد استخدموا أشكالها كقوالب فنية لكثير من الروائع العربية الخطية وقاموا كذلك بتجسيدها في هيئة تماثيل متنوعة الخامات والأحجام والأشكال، فلقد كانت الطيور بحق من الروافد الفنية الطبيعية التي أثرت الفنون الإسلامية، وقد عثر على الكثير من تماثيل مختلف نوعياتها كالطواويس والديوك والحمام والبيزان وغيرها ضمن ما عثر عليه من مخلفات مختلف الحقب الحضارية الإسلامية خاصة في العصرين الفاطمي (٢٧) والسلجوقي، وربما تعتبر أواني الأكوامنيل التي كانت تشكل غالبيتها في هيئة طيور من أشهر تلك النماذج.

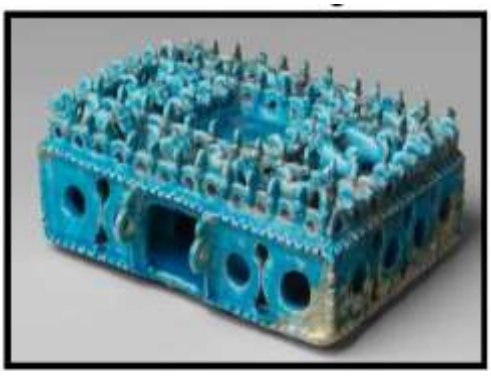

شكل رقم (٦) متحف المتروبوليتان بأمريكا –تحفة خزفية مزججة – ق (٨–٩هـ/ ١٢ –١٣ م)

من المرجح أنها كانت بيتاً للطيور

وهكذا فقد كان المسلمون بصفة عامة من محبي الطيور وقد تعاملوا معها بما فرضته عليهم أسس وأحكام الشريعة الإسلامية فاعتنوا بها واهتموا برعايتها وتربيتها وكذلك أفردوا لها الأماكن المخصصة والحدائق والأقفاص وقاموا على إطعامها وتوفير كل ما يلزم لها وذلك على حد سواء إذا كانوا سينتفعون بها بشكل مباشر في الدنيا أو غير مباشر في الآخرة كما ذكرنا.

(٢٦) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بتحقيق أيمن فؤاد سيد، مج ٢ ص ٥٨٢، لندن، ١٩٩٥م.

(٢٧) زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين، ص ٨٩، القاهرة، ١٩٣٧م.

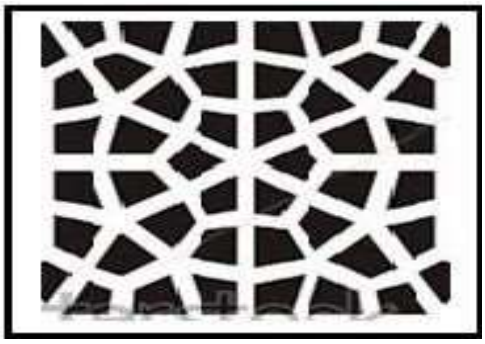

شكل رقم (٧) تفريغ لزخارف خرط أبو جتريز التي تغطي واجهة بيت الطيور على جامع السلطان بايزيد.

الدراسة الآثارية لبيوت الطيور

يتناول هذا القسم من البحث دراسة وتحليل الشواهد الآثارية الباقية من بيوت الطيور التي تتركز بدرجة أساسية في مختلف مدن تركيا وكذلك تعريفها كما يتناول أسباب إنشاء هذه البيوت المباشرة وغير المباشرة، مع تحليل هذه الأسباب، أيضا المواد الخام التي صنعت منها ومدى تنوعها لتتلاءم مع طبيعة هذه الطيور، كذلك التصميمات الهندسية لهذه البيوت وكيفية صياغتها بما يتناسب مع أحجام الطيور، وكذلك معالجات كافة عناصرها الفنية سواء أكانت معمارية أم زخرفية وموضوعات هذه الزخارف، كما يتناول أسباب اختيار مثل هذه المواضع التي بنيت بها هذه البيوت ومدى مراعاة ارتفاعاتها وأبعادها، وأعماقها أيضا مدى مراعاة وضعيات هذه البيوت بالنسبة للرياح وأشعة الشمس وكذلك الأمطار والثلوج والرياح وغيرها.

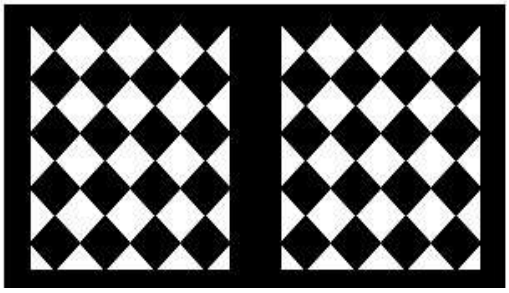

شكل رقم (٨) تفريغ للزخارف الحجرية التي تغطي واجهة بيت الطيور على جامع بالي باشا.

١– التعريف وأسباب البناء

تجدر الإشارة أولا للتعريف الخاص بهذه البيوت التي أتناولها بالبحث والدراسة وذلك كي تتضح المفاهيم لدى القارئ فهذه البيوت عبارة عن تحف فنية صغيرة الحجم مبنية على العمائر والمنشآت الأثرية القديمة وقد وضعت لغرضين أساسيين:

الأول هو رعاية الطيور وتوفير نوع من السكن الدائم لها في المناطق التي تعيش فيها، وكذلك لتوفير نوع من المأوى المؤقت لتلك الطيور التي تقيم لبعض الوقت بمختلف مناطق تركيا في طريق هجرتها لمناطق أخرى أو لحين عودتها من تركيا إلى مواطنها الأصلية.

شكل رقم (٩) ايمينونو –بازار البهار (١٠٧٠ هـ/ ١٦٦٠ م) – الواجهة الشمالية الشرقية

أما الغرض الثاني فهو زخرفة وتجميل المنشآت التي وجدت عليها هذه البيوت ويمكننا استنباط ذلك من خلال ما حوته من فكر بيئي وهندسي متطور، وحس جمالي وفني متميز، وكذلك لما تضمنته من مختلف نوعيات العناصر المعمارية المصغرة والفريدة، وكذلك لما اشتملت عليه من مختلف الأساليب الفنية الدقيقة سواء في الصناعة أو في الزخرفة وهو ما جعلها تستحق بجدارة أن يطلق عليها الكثيرون قصور الطيور، وبالتالي فنحن أمام طرفة معمارية متميزة من إبداعات الفنان المسلم التي استطاع أن يحفظها في مكان مكنون لتكون حرزا للطيور، وكذلك لتكون في مأمن من عبث العابثين سواء أكانوا بشرا أم غيرهم، وهي تنبئ عن عديد من الدلالات الحضارية والفنية الزخرفية وكذلك العقائدية.

شكل رقم (١٠) إستانبول –سراي إسحاق باشا (١٠٩٥–١٠٩٦هـ/١٦٨٤–١٦٨٥م) – الواجهة الجنوبية

٢– النشأة

لم يثبت فيما قرأت من الكتابات التاريخية ونصوص المؤرخين في مجال الفنون والعمارة وجود بيوت مبنية للطيور على العمائر الإسلامية قبل العصر السلجوقي سواء في تركيا أو غيرها ولكن أثبتت هذه الكتابات أن أمثال هذه النوعيات أو كأمثالها وجدت مستقلة داخل حدائق وأفنية القصور والمنازل وذلك لتوضع بها الطيور من قبيل الزينة والتباهي وتباينت أحجامها ومواد بنائها وتصميماتها بحسب ما كانت تقتضيه الظروف والإمكانيات وكذلك أحجام هذه الطيور التي خصصت لها هذه البيوت فكثيرا ما تتحدث المراجع التاريخية عن أقفاص وأبراج مخصصة لطيور الزينة التي كانت تزخر بها حدائق الملوك والسلاطين وعلية القوم منذ بداية العصر الإسلامي وحتى العصر الحديث كما أوردت في المبحث الحضاري.

شكل رقم (١١) إستانبول –مدرسة أمجازاد (١١٠٩ هـ/ ١٦٩٨ م) – الواجهة الشرقية

أما الشواهد الآثارية من تلك النوعيات المنقولة من بيوت الطيور التي من المرجح أنها كانت تعلق داخل قاعات القصور والمنازل فهناك العديد من أمثلتها المعدنية ذات التشبيكات المنفذة بالتفريغ والتخريم التي غلب على ظن الكثير من الباحثين أنها مباخر بل وسجلت داخل بعض المجموعات المتحفية على أنها كذلك ومنها على سبيل المثال تحفة موجودة بمتحف مولانا جلال الدين الرومي بتركيا عبارة عن صندوق نحاسي ذي تفريغات هندسية ونباتية متنوعة وله قاعدة مسطحة وباب مزدوج محلى بأسدين مجسمين [٢٨].

(٢٨) Aga-oglu, M. (١٩٨٨) "about a type of Islamic Incense Burners" p. ٤٣, Art Bulletin, Vol. ١٤, No. ١.

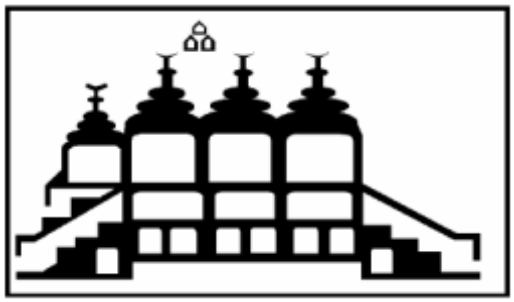

شكل رقم (١٢) أميرجان –قطاع تخطيطي رأسي في بيت للطيور على الواجهة الغربية لمنزل مقابل البازار الكبير ق (١٢ هـ/ ١٧ م).

كما توجد بالإضافة إلى ذلك تحفة محفوظة بمتحف المتروبوليتان بأمريكا [٢٩] لم يتم تحديد كنهها أو وظيفتها حتى الآن وقد رجحت أنها كانت تستخدم بيتا للطيور بناءً على شكلها الخارجي وتصميمها وزخارفها وهي مصنوعة من الفخار المزجج باللون الفيروزي ويحلي سطحها مجسمات صغيرة لحيوانات وبها عديد من الفتحات (شكل٦) وقد كانت مخصصة لأنواع صغيرة الحجم من طيور الزينة وربما كانت هذه النوعية من البيوت توضع داخل صندوق معدني أكبر، أما بالنسبة لنشأة بيوت الطيور المرتبطة بالعمائر فيبدو أن ظهورها كان متأخرا بعض الوقت إذ إن أقدم نماذجها المعروفة حتى الآن في تركيا يرجع للعصر السلجوقي وهو عبارة عن بيت بسيط التكوين (شكل١) موجود أعلى الواجهة الشمالية لضريح جوهر سلطان ضمن مدرستها بمدينة قيصرية والتي شيدت في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي [٣٠] غير أنه مرمم حاليا ولا ندري عن شكله القديم شيئا فهو عبارة عن فجوه رأسية مدببة العقد داخل أحد مداميك الواجهة الحجرية المزخرفة بالنحت وقد أحيطت هذه الفجوة من الخارج بجدار نصف دائري بسيط وذلك حتى مستوى النصف.

شكل رقم (١٣) إستانبول –جامع السلمية (١٢١٥–١٢١٩ هـ/ ١٨٠١–١٨٠٥ م) الواجهة الشمالية

ومن المؤكد أن هذه النوعية من بيوت الطيور قد انتشرت بعد ذلك على عديد من المباني التركية انتشارا واسعا بمختلف المدن التركية متنوعة في تصميماتها وأحجامها وطرزها الفنية والمواضع التي شغلتها على واجهات العمائر. وهو ما دفع بالطبع لدراستها وتصنيفها تصنيفا علميا دقيقا في عدة مراحل تطورية مختلفة من خلال كافة الأنماط والمواصفات وكل ما يتعلق بها من مواد البناء والزخرفة وغيرها، وقد تطلب ذلك إعداد حصر شامل لهذه البيوت على العمائر التركية فقد استطعت إحصاء ٥٠ نموذجاً منها.

---

(٢٩) تحفة معروضة بالمتحف برقم سجل (٣٥٤/ ٢٠٠٧).

(٣٠) Otto-dorn, K. (١٩٧٨/١٩٧٩) "Figural Stone relief's on Seljuk sacred architecture in Anatolia" p. ١٠٧, Kunst des Orients, Vol. ١٢.

شكل رقم (١٤) إستانبول جامع لإله لي (١١٧٣–١١٩٧ هـ/ ١٧٦٠–١٧٨٣ م) الواجهة الشمالية

ورغم هذا العدد الكبير فقد لاحظت تنوعا في أشكالها وتصميماتها وأحجامها ومواضعها المتباينة على الواجهات وارتفاعاتها وأبعادها وزخارفها والمواد التي صنعت منها وكذلك تركزها في فترة القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما أنني وجدت أن الغالبية العظمى منها موجودة بمدينة إستانبول وضواحيها وقد اخترت مجموعة منها تعبر عن كافة المراحل التطورية التي مرت بها هذه البيوت، لأستطيع من خلالها دراسة كافة ما يتعلق بهذه البيوت بشكل شامل ومتكامل بما ينسحب على كافة النماذج الموجودة فعليا أو التي ربما تظهر فيما بعد ذلك ولم تدخل في نطاق ذلك الحصر المتعلق بالدراسة.

شكل رقم (١٥) إستانبول –جامع نور عثمانية (١١٦٢–١١٦٨ هـ/ ١٧٤٩–١٧٥٥ م) الواجهة الشمالية

٣– الشواهد الآثارية:

وجدت هذه الشواهد مبنية على المجمعات المعمارية وكذلك على المساجد والمدارس والخانات والقناطر والمقابر والأسبلة والقصور والمنازل بالإضافة إلى الكنائس والمعابد اليهودية والمكتبات العامة وهذه النماذج بيانها كالتالي:

١– بيت صغير من العصر السلجوقي (شكل ١) على الواجهة الشمالية لمدفن جوهر سلطان في قيصرية ضمن مدرستها وهي من عصر السلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو (ق ٧هـ/١٣م).

٢– بيت يعلو كتلة المدخل الرئيس لجامع أبي أيوب الأنصاري مبني سنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م) بحي أيوب في القسم الأوربي من إستانبول (شكل٢).

٣– بيت يعلو الواجهة الغربية لجامع السلطان بايزيد بأماسيا (شكل٣) وبانى الجامع هو المهندس يعقوب شاه ابن سلطان شاه سنة (٩٠٦–٩١١هـ/١٥٠١–١٥٠٦ م).

٤– بيت يعلو الواجهة الشرقية لجامع بالي باشا (شكل٤) والذي بنته سنة (٩٠٩هـ /١٥٠٤م) زوجته حمة خاتون بنت السلطان بايزيد الثاني.

٥- بيت يعلو الواجهة الشرقية للجامع الكبير (أولو جامع) (شكل١٢) وبناه رمضان أوغلو سنة (٩١٨هـ /١٥١٣م) وأتم بنائه ابنه بيري محمد باشا سنة (٩٤٧هـ / ١٥٤١ م) ويقع بمنطقة اضنه بتركيا وهو على الطراز المملوكي السلجوقي العثماني.

٦- زوجان من البيوت يعلوان برجي مدخل جسر بايكشكمك (شكل٥) وهي مبنية سنة (٩٧٠-٩٧٤هـ/ ١٥٦٣-١٥٦٧ م) في عهد السلطان سليمان القانوني بأمر من محمد سو كولو باشا على يد المعمار سنان كما ذكر في كتابه تذكرة الأبنية.

٧- بيت يعلو الواجهة الشمالية لجامع مصطفى أفندي (شكل٣٣) ويقع الجامع بمنطقة خيربولو (١٠٢٧هـ / ١٦١٨م)

٨- مجموعة من بيوت الطيور على مختلف واجهات جامع الوالدة الجديد بمنطقة اسكودار بإستانبول (أشكال ٢٨،٢٩،٣٠،٣١) ويعرف بالجامع الجديد ويعرفه السياح باسم جامع الألف حمامة ويقع بميدان إيمنونو بضاحية إيمنونو وقد بناه المعمار داود أغا في عهد السلطان محمد الثالث لوالدته السيدة تورهان هاتك سلطان وقد بني على فترتين الأولى (١٠٠٥-١٠١١هـ /١٥٩٧-١٦٠٣م) والثانية (١٠٧١-١٠٧٣هـ /١٦٦١-١٦٦٣م) ويضم مجمع ديني وجنائزي وتجاري.

٩- بيت للطيور أعلى الواجهة الشمالية الشرقية لبازار البهار (شكل٩) ويقع بمنطقة الفاتح بإستانبول صمم السوق خوجا قاسم أغا وأتم بناءه المعمار مصطفى سنة (١٠٧٠هـ/١٦٦٠م).

١٠- بيت للطيور أعلى الواجهة الجنوبية لقصر إسحاق باشا (شكل١٠) (١٠٩٥-١٠٩٦هـ/١٦٨٤ – ١٦٨٥م)

١١- بيت للطيور أعلى الواجهة الشرقية لمدرسة أمجازاد حسين باشا بإستانبول (شكل١١) وقد شيدت سنة (١١٠٩هـ/ ١٦٩٨م)

١٢- بيت للطيور يعلو الواجهة الشمالية الشرقية لمنزل يقع بجوار بجانب البازار الكبير (شكل١٢) والمنزل يقع بمنطقة أميرگان ق (١٢هـ /١٧م)

١٣- بيت للطيور أعلى الواجهة الغربي لمدرسة فيض الله أفندي (شكل١٦) المبنية سنة (١١١١ هـ /١٧٠٠م) على يد المهندس محمد أغا والتي تحولت لمكتبة وطنية سنة ١٩١٦ وتقع بجوار جامع الفاتح بإستانبول.

شكل رقم (١٦) إستانبول –مدرسة فيض الله أفندي (١١١١ هـ/ ١٧٠٠ م) – الواجهة الغربية

١٤- بيت للطيور أعلى الواجهة الجنوبية لخان قرا مصطفى باشا (١١٣٠-١١٣٦ هـ / ١٧١٨ -١٧٢٤ م) (شكل ١٧).

شكل رقم (١٧) إستانبول –خان قرا مصطفى باشا (١١٣٠-١١٣٦ هـ/ ١٧١٨-١٧٢٤ م) –الواجهة الجنوبية

١٥- بيت للطيور يعلو الواجهة الشرقية لمكتبة الوزير إبراهيم باشا ضمن مجمعه المعماري في نفيسشهر (١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م) (شكل ١٨).

شكل رقم (١٨) نفيسشهر –كلية إبراهيم باشا (١١٣٨ هـ/ ١٧٢٦ م)– المكتبة – الواجهة الشرقية.

١٦- بيت للطيور أعلى الواجهة الشمالية الغربية لكنيس بلاط اليهودية وبناها يهود الأرمن اليونانيين بتوقات سنة (١١٤٣ هـ/ ١٧٣١ م) (شكل ١٩).

شكل رقم (١٩) توقات كنيس بلاط اليهودية الأرمنية (١١٤٣ هـ/ ١٧٣١ م) –الواجهة الشمالية الغربية

١٧- بيت للطيور أعلى الواجهة الغربية لكنيسة أهريدا المسيحية بمنطقة سينيجوجو ق (١٢ هـ / ١٨ م) (شكل ٢٠).

شكل رقم (٢٠) سينيجوجو –كنيسة أهريدا ق (١٢ هـ/ ١٨ م) – الواجهة الغربية

١٨- بيت للطيور أعلى الواجهة الشمالية لجامع نور عثمانية (١١٦٢-١١٦٨ هـ / ١٧٤٩ -١٧٥٥ م) (شكل ١٥).

١٩- مجموعة من بيت للطيور أعلى كتلة مدخل جامع إيازماغ وواجهتيه الشمالية والغربية (أشكال ٢٢،٢٣،٢٤) ويقع الجامع بميدان ايازماغ بمنطقة اسكودار إستانبول، وبناه المهندس محمد طاهر مصطفى سنة (١١٧٣-١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ -١٧٦١ م) في عهد السلطان مصطفى (١١٢٩-١١٨٧ هـ / ١٧١٧-١٧٧٤ م).

٢٠- بيت للطيور أعلى الواجهة الشمالية لجامع لإله لي بإستانبول (شكل ١٤) وبناه المهندس محمد طاهر أغا سنة (١١٧٣-١١٩٧ هـ/ ١٧٦٠ -١٧٨٣ م) وبجواره ضريح السلطان مصطفى الثالث.

٢١- بيت للطيور يعلو الواجهة الغربية لمدرسة رجب باشا (١١٧٥ هـ/ ١٧٦٢ م) والتي تحولت لمكتبة عمومية في أواخر القرن العشرين (شكل ٢٥).

٢٢- بيت للطيور يعلو الواجهة الشرقية لخان النافورة (شكل ٣٤) وبناه حسن باشا في منطقة طاشان بإستانبول ويرجع لسنة (١١٧٦ هـ/ ١٧٦٣ م).

٢٣- بيتان للطيور داخل قصر توبكابي أحدهما أعلى الواجهة الشمالية لمبنى ضمن مباني الجناح الإمبراطوري (شكل ٢٧) وهو يرجع إلى القرن الثامن عشر والآخر أعلى الواجهة الشرقية لمبنى يشرف على فناء النعناع ويرجع للقرن التاسع عشر (شكل ٢٦).

شكل رقم (٢١) أضنة –(أولو جامع) الجامع الكبير (٩١٨ هـ/ ١٥١٣ م) الواجهة الجنوبية الشرقية

٢٤- بيت للطيور أعلى الواجهة الشمالية لجامع السليمية (شكل ١٣) وبنى الجامع المعمار أحمد نور الدين سنة (١٢١٥-١٢١٩ هـ/ ١٨٠١ -١٨٠٥ م) للسلطان سليم الثالث ويقع في اسكودار بإستانبول

شكل رقم (٢٢) إسكيدار –جامع ايازماغ (١١٧٣-١١٧٤ هـ/ ١٧٦٠-١٧٦١ م) –الواجهة الشمالية

أما عن أسباب اختيار هذه النماذج بالذات فقد وجدت أنها تعبر عن الخمسين نموذجا التي أحصيتها في البداية حيث وجدت عديد من النماذج المكررة في تصميماتها وخاماتها وزخارفها وأحجامها ووضعياتها بالنسبة للمنشأة التي بنيت عليها فاكتفيت بشاهد واحد يعبر عن سائر الأمثلة المشابهة، أيضا لأن هذه النماذج بالذات تعبر عن كافة الأنماط التي تمثل مراحل نشأة وتطور هذه البيوت حتى وصولها لقمة النضج الفني.

٤- مراحل التطور والأنماط الفنية

إذا اعتبرنا أن بيوت الطيور تحفة من تلك التحف التي تندرج تحت ما يسمى بالفنون التطبيقية الجميلة وهي بالفعل كذلك فإن ذلك سوف يجعلنا نتحدث عن مراحل تطورية مرت بها هذه التحف منذ أن بدأ ظهورها وحتى اكتملت تلك المراحل، ولقد ارتبطت هذه التحف بالعمارة بالدرجة الرئيسة وكانت لصيقة بها واتخذت كثيرا من سماتها في بعض الأحيان من حيث الخامات والعناصر والتخطيطات والوحدات الفنية والزخرفية التي ازدانت بها كما اتخذت عديداً من الوضعيات والتصميمات خلال مراحل تطورها.

شكل رقم (٢٣) إسكيدار –جامع ايازماغ (١١٧٣–١١٧٤ هـ/ ١٧٦٠–١٧٦١ م) كتلة المدخل

وتجدر الإشارة إلى أن طرز بيوت الطيور قد اختلفت في كثير من الأحيان عن طرز العمائر التي شيدت عليها هذه البيوت أي أنه ليست هناك علاقة بين الفترة الزمنية التي شيد فيها الأثر وفقا لطراز معين وبين طراز بيت الطيور الذي ربما يكون قد شيد في فترة لاحقة على فترة إنشاء الأثر، ذلك أنني رأيت أن هناك مجموعة من المباني القديمة التي من المفترض أنها مبنية على الطراز العثماني ذي التأثيرات الإسلامية الصرفة تشهد بيوتا مبنية على طرز تحمل تأثيرات أوربية وأن هناك بعض العمائر التركية المشيدة وفق طراز الباروك العثماني وكذلك الروكوكو الأوربي تشهد بيوتا مبنية على الطراز الإسلامي الصرف وهذا الاختلاف نتج فقط عن سببين رئيسين الأول أن المسجد ربما استمرت فترة إنشائه ومراحل استكماله سنين عديدة، وربما يكون قد شيد أيضا على مرحلتين متباعدتين كما حدث في جامع الوالدة الجديد أو أن الأثر قد شيد سلفا ثم أضيفت عليه بيوت الطيور في فترات لاحقة وفق الطرز الجديدة التي استحدثت فيما بعد ذلك ويبدو لنا ذلك في العديد من نماذج الدراسة حيث إن مسجد نور عثمانية ومسجد ايازماغ وهما من المساجد التي تحمل كثيرا من التأثيرات الأوربية ورغم ذلك فإن بيوت الطيور التي بنيت عليها جاءت وفق الطراز الإسلامي الصرف (أشكال١٥، ٢٢، ٢٣، ٢٤) والعكس صحيح في بعض المباني التي شيدت بحسب الطراز الإسلامي تشهد بيوتا للطيور مشيدة على طراز الباروك والروكوكو كما في بيتي الطيور على مباني قصر توبكابي (أشكال٢٦، ٢٧)، وهذه بالطبع ليست هي القاعدة العامة إذ إن هناك بيوتا للطيور شيدت في نفس الفترات التي بنيت فيها الآثار التي تحملها كما في الجامع الكبير (شكل٢١) وجامع بايزيد (شكل٣) وجامع بالي باشا (شكل٤)، كما يلاحظ أيضا أن بعض البيوت موضوع الدراسة جاءت ذات نمطين مختلفين في آن واحد إذ جمعت بين النمط البسيط –وهو الفتحات المحفورة المسامتة لمستوى الواجهة –والنمط الثاني وهو البارز المتطور في وقت واحد كما نشاهد في بيت الطيور على منزل بجانب البازار الكبير (شكل١٢)، ولعل هذه الأسباب هي التي دعتني لتقسيم بيوت الطيور من الناحية الفنية إلى عدة أنماط وليست طرزا على اعتبار أنها جزء من كل ولا يصح أن يصنف الجزء على أنه طراز في حين أن الأثر الذي يحمله لا يحمل نفس سمات الطراز الفني الذي شيدت بحسبه هذه البيوت الصغيرة، وقد استطعت من خلال نماذج الدراسة تصنيف بيوت الطيور على العمائر التركية بصفة عامة إلى ثلاثة أنماط رئيسة وهي تعبر عن

شكل رقم (٢٤) إسكيدار –جامع ايازماغ (١١٧٣–١١٧٤ هـ/١٧٦٠–١٧٦١ م) الواجهة الغربية

وهو يعبر عن مرحلة النشأة وهي تلك المرحلة التي بدأت منذ أوائل القرن السادس عشر حيث النماذج الأولى منها وفيها تطور فكر الفنان والمعمار المسلم من مجرد فكرة إنشاء بيوت مستقلة للطيور عبارة عن أقفاص أو صناديق مختلفة الأحجام والخامات والتصميمات إلى فكرة وضع هذه البيوت على العمائر وذلك في محاولة جريئة وغير مسبوقة لرعاية كافة نوعيات الطيور الصغيرة الطليقة دون أن يقصر اهتمامه على مجموعات الطيور الموجودة لديه في المنزل أو القصر أو الحديقة سواء أكانت طيورا للزينة أم غير ذلك.

شكل رقم (٢٥) إستانبول –مكتبة رجب باشا (١١٧٥ هـ/ ١٧٦٢ م) – الواجهة الغربية

أ) النمط الأول

وفي هذه المرحلة تبدو لنا بيوت الطيور فقيرة في شكلها العام بسيطة في تصميماتها تخلو من أي زخارف أو لمسات فنية أو جمالية وقد جاءت معظم نماذجها عبارة عن فجوات متباينة الأحجام والتصميمات الخارجية غير أنها جميعا جاءت مسامتة لجدران العمائر التي شيدت عليها وجاءت وحداتها عبارة عن فتحات ضيقة صغيرة معقودة في أعلى جدران المساجد وانتظمت هذه الفتحات أحيانا في صف واحد أو صفين على أكثر تقدير ومن هذه الفتحات ما تم تنفيذه على هيئة زهرة مع إحاطة البيت ككل بإطار بسيط بارز لتحديد شكله العام ومن أبرز الأمثلة التي تعبر عن هذه المرحلة ما وجد على واجهات كل من مدرسة أمجازاد (شكل١١) ومدرسة فيض الله أفندي (شكل١٦) وخان النافورة (شكل٣٤) وكنيس بلاط اليهودية (شكل١٩).

ب) النمط الثاني

بدأت نماذج بيوت الطيور وفقا لهذا النمط تتبلور كقيمة معمارية بجانب كونها ذات بعد إنساني متعلق برعاية الطيور من منطلق ديني فبدأت تأخذ مجموعة متنوعة من الأشكال الهندسية المختلفة الأحجام والأشكال والوضعيات، ورغم ما قد يبدو فيها من جمال إلا أنها توحي بأن الفنان أو المصمم لم يزل حتى الآن لم يصل إلى درجة الإبداع في تصميمه لهذه التحف ونستنتج ذلك من خلال ضعف مواد البناء التي شيدت بها غالبية البيوت في هذه المرحلة حيث إن نسبة كبيرة منها صنعت من مادة الجص المعروفة بضعفها معماريا [٣١]، وكذلك ضعف معالجاتها الهندسية والفنية المتمثلة في عدم تناسق عناصرها ووحداتها مع بعضها البعض.

(٣١) Pope, A. U. (١٩٣٤) "the Historic Significance of Stucco Decoration in Persian Architecture" p.٣٣٠, the Art Bulletin, Vol. ١٦, No. ٤.

شكل (٢٦) إستانبول – قصر توبكابي – مبنى يشرف على فناء النعناع ق (١٣ هـ/ ١٩ م) – الواجهة الشرقية

فتبدو هذه البيوت بحسب هذا النمط ضخمة وكبيرة على خلاف الوظيفة المطلوبة منها إذ يبدو فيها أحيانا كبر الحجم والحيز الذي تشغله ورغم ذلك فالأوكار التي بداخلها تعتبر قليلة العدد والمساحة قياسا بهذا الحجم، كما أنها وإن كانت تحمل بعض الملامح والعناصر الزخرفية البسيطة إلا أنها ليست بجودة ودقة نفس العناصر الفنية التي سوف تبدو لنا في المرحلة الثالثة، ومن أهم نماذج هذا النمط بيوت الطيور على واجهات كل من الجامع الكبير (أولو جامع) (شكل٢١) وجامع السلطان بايزيد (شكل٣) ومدخل جسر سوكولو محمد باشا (شكل٥) وبيت الطيور على واجهة الجناح الإمبراطوري بقصر توبكابي (شكل٢٧) وبيت الطيور على واجهة جامع بالي باشا (شكل٤).

ج) النمط الثالث

وهي المرحلة التي بلغت فيها هذه البيوت قمة التطور في كافة ما يتعلق باختيار مواضعها بالنسبة للواجهة بصفة عامة أو الجدار المبنية فيه أو عليه وكذلك بالنسبة لدقة وجودة التصميم حيث جاءت نماذجها صغيرة الحجم وفي ذات الوقت توفر عددا كبيرا من الأوكار للطيور كما جاءت عناصرها الوظيفية والزخرفية في غاية الدقة والإتقان من حيث توظيفها التوظيف الأمثل في خدمة الطيور التي تسكنها هذا وقد بلغت البيوت في هذه المرحلة درجة من الجودة نستطيع من خلال تصميماتها وزخارفها وعناصرها الحكم ليس فقط على طرازها الفني ولكن أحيانا على طراز العمائر التي شيدت عليها تلك البيوت خاصة إذا كانت تلك البيوت قد شيدت في نفس الوقت الذي شيدت فيه العمائر حيث وضحت في نماذج هذا النمط كثير من خصائص الطرز الأوربية التي وفدت على تركيا في ذلك الوقت ومنها الأسقف المتعددة الكرانيش والمستويات، وكذلك الأبراج الجانبية والبلكونات والدرابزينات المشغولة بالخرط الهندسي المتنوع وغير ذلك من العناصر الزخرفية ذات الطابع الأوربي كالأشكال المحارية التي تعتبر من شواهد طراز الباروك (٣٢)

إضافة لعديد من سمات ومميزات الطراز الإسلامي ومن أروع نماذج هذه المرحلة ما وجد على كل من جامع الوالدة الجديد (أشكال ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١) وجامع ايازماغ (أشكال ٢٢، ٢٣، ٢٤) وجامع السليمية (شكل١٣) وعلى أحد مباني الجناح الإمبراطوري داخل قصر توبكابي (شكل٢٧).

(٣٢) Çelik, Z. (١٩٩٢) "Displaying the Orient: Architecture of Islam at Nineteenth-Century World's Fairs" p. ١٦٤, California.

شكل رقم (٢٧) إستانبول – قصر توبكابي –مبنى الجناح الإمبراطوري –ق (١٢ هـ/ ١٨ م) – الواجهة الشمالية.

٥– مواضعها بالنسبة لواجهات المنشآت

لقد تم اختيار مواضع هذه البيوت بشكل موفق جدا لأبعد الحدود وقد تبينت ذلك من خلال الاتي: أن المعمار قد وضع هذه البيوت في مكانين محددين على العمائر المكان الأول وهو الواجهات الرئيسية حيث تضم هذه الواجهات في الغالب المدخل الرئيسي للمنشأة ومن المعرف أن المداخل من أكثر العناصر المعمارية التي حظيت بعناية المعمار المسلم فقد ركز عليها عديد من العناصر الفنية والزخرفية ومنها هذه البيوت التي يمكننا هنا أن نغلب جانب زخرفيتها على جانب وظيفتها كما في مدخل جامع أيازماغ (شكل٢٣) ومدخل جامع أبو أيوب الأنصاري (شكل٢) ومدخل قنطرة بايكشمك (شكل٥)، وقد بدأ المعمار بعد ذلك ينوع في اختيار مواضع هذه البيوت حيث تركزت معظمها على الواجهات وهو الموضع الثاني الذي اختاره المعمار لهذه البيوت بصرف النظر عن كون الواجهة رئيسية أو غير ذلك، وبغض النظر عن كون الواجهة داخلية – بمعنى أنها تشرف على داخل المجمع المعماري – أو خارجية تشرف على شوارع أو ميادين محيطة بالمنشأة، المهم أن مواضع هذه البيوت جاءت متنوعة على مجموعة الواجهات فبينما وجدت على الواجهات الشمالية لكل من جامع ايازماغ (شكل٢٢) وجامع السليمية (شكل١٣) وجامع نور عثمانية (شكل١٥) وجامع لإله لي (شكل١٤) وجامع مصطفى أفندي (شكل٣٣) ومدفن جوهر سلطان (شكل١) ومبنى ضمن الجناح الإمبراطوري بقصر توبكابي (شكل٢٧) وجدت أعلى الواجهات الجنوبية لكل من خان قرا مصطفى باشا (شكل١٧) وسراي إسحق باشا (شكل١٠). وبينما وجدت على الواجهات الغربية لكل من جامع ايازماغ (شكل٢٤) ومكتبة رجب باشا (شكل٢٥) ومدرسة فيض الله أفندي (شكل١٦) وكنيسة اهريدا (شكل٢٠) ومنزل بجانب البازار الكبير (شكل١٢) وجدت على الواجهات الشرقية لكل من المبنى المطل على فناء النعناع بقصر توبكابي (شكل٢٦) ومكتبة إبراهيم باشا ضمن مجمعه المعماري (شكل١٨) ومدرسة امجازاد (شكل١١) وجامع بالي باشا (شكل٤) وخان النافورة (شكل٣٤). وبينما وجدت هذه البيوت أعلى الواجهات الشمالية الغربية لكل من جامع الوالدة الجديد (شكل٣١) وكنيس بلاط اليهودية (شكل١٩) وجامع السلطان بايزيد (شكل٣) وجدت أعلى الواجهات الجنوبية الغربية كذلك لجامع الوالدة الجديد (شكل٣٠).

وبينما وجدت كذلك أعلى الواجهات الشمالية الشرقية لبازار البهار (شكل٩) وجامع الوالدة الجديد (شكل٢٩) وجدت على الواجهة الجنوبية الشرقية للجامع الكبير (أولو جامع) (شكل٢١) كما وجدت هذه البيوت كذلك على الكتل المعمارية الملحقة ببعض من تلك العمائر حيث وجد منها نموذج أعلى البدن الثاني لمئذنة جامع الوالدة الجديد (شكل٢٨).

شكل رقم (٢٨) إسكيدار –جامع الوالدة الجديد (١٠٠٥–١٠١١ هـ/ ١٥٩٧–١٦٠٣ م)، (١٠٧١–١٠٧٣ هـ /١٦٦١–١٦٦٣ م) – المئذنة.

كما شهد سبيل نفس الجامع وجود حوض صغير لسقيا الطيور (شكل٣٢). والملاحظ في سبب اختيار المعمار للواجهات الخارجية بالذات للمنشآت أن الطيور دائما من طبيعتها أنها تحب الانطلاق والانفتاح على الخارج ولذلك فقد سكنت الطيور هذه البيوت لأنها وجدت فيها كافة العوامل والمقومات التي يمكن أن يجدها طائر في البيت الذي يبحث عنه من دفئ وتهوية وأشعة الشمس وأمن على أفراخه الصغار أو بيضه وهذا من أوضح البراهين على عبقرية المعمار المسلم ليس في اختيار الموقع بالنسبة للواجهات ولكن أيضا في تصميمات هذه البيوت سواء من الداخل أو الخارج وكذلك في حسن انتقاء المواد الخام التي استخدمها في بنائها ومن الدلالات الواضحة التي تشهد بذلك أيضا أن كل هذه البيوت لا تزال مسكونة حتى الآن وبمجموعات كبيرة من هذه الطيور.

شكل رقم (٢٩) إسكيدار –جامع الوالدة الجديد (١٠٠٥–١٠١١ هـ/ ١٥٩٧–١٦٠٣ م)، (١٠٧١ – ١٠٧٣ هـ / ١٦٦١–١٦٦٣ م) الواجهة الشمالية الشرقية

٦– التصميمات الخارجية

يقصد بالتصميمات الخارجية الشكل العام لبيوت الطيور وقد تنوعت هذه الأشكال تنوعا كبيرا فمن حيث أشكالها الهندسية وجدت البيوت التي تأخذ شكل مستطيل معقود كما في بيت الطيور على مدرسة أمجازاد (شكل١١)، وشكل مستطيل محفور عليه دخلة واحدة أو دخلتان معقودتان تتخللهما أوكار الطيور كما في بيوت الطيور على كنيس بلاط اليهودية (شكل١٩)، ووجد منها ما هو على شكل نافذة مستطيلة مقسمة لمستويين بكل مستوى وكران للطيور كما في جامع نور عثمانية (شكل١٥)، أو ما هو على شكل نافذة مستطيلة ذات جبهة مثلثة جمالونية كما في بيت الطيور على مدرسة فيض الله أفندي (شكل١٦)، وهناك بعض البيوت تأخذ شكل فتحة مضاهية مصمتة معقودة بعقد مسنن ويتخللها مجموعة من أوكار الطيور كما في بيت الطيور على مئذنة جامع الوالدة الجديد [٣٣] (شكل٢٨)، هذا بالطبع فيما يتعلق ببيوت الطيور المسامته لجدران الواجهات التي بنيت أو نحتت فيها أي أنها غير بارزة، أما البيوت البارزة فقد تنوعت أشكالها من حيث التصميم العام فمنها ما أخذ شكل المربع البارز ذي المستوى الواحد كما في نموذج

(٣٣) Dagdeviren, S. (١٩٨٩) "Castles in the Air" p. ٣٠, Saudi Aramco World magazine.

آخر على جامع الوالدة الجديد (شكل٣١) وبيتي الطيور على مدخل قنطرة بايكشمك [٣٤] (شكل٥) وبيت الطيور على جامع بالي باشا (شكل٤) وبيت الطيور على الجامع الكبير (شكل٢١)، ومنها ما أخذ الشكل المربع البارز ذا المستويين كما في بيت الطيور على كنيسة إهريدا (شكل٢٠) وبيت الطيور على جامع مصطفى أفندي في خيربولو (شكل٣٣) وبيت الطيور على جامع ايازماغ (شكل٢٤) ومنها ما أخذ شكل المربع ذي الجمالون كما في بيت الطيور على قصر اسحق باشا (شكل١٠) ومن هذه البيوت ما أخذ قطاعه شكل نصف دائري بسيط كما في بيت الطيور على واجهة جامع أبي أيوب الأنصاري (شكل٢) وبيت الطيور على مدخل جامع إيازماغ (شكل٢٣) ومنها ما أخذ الشكل النصف الدائري المركب ذي الارتدادات والانحناءات كما في بيت الطيور على جامع السليمية (شكل١٣)، ومن النماذج الرائعة كذلك ما أخذ شكل القصور ذات الأبراج متعددة الطوابق كما في بيت الطيور على أحد أبنية الجناح الإمبراطوري بقصر توبكابي [٣٥] (شكل٢٧) وما أخذ شكل المسجد ذي القباب والمآذن كما في نموذجين على واجهات جامع الوالدة الجديد (أشكال ٢٩،٣٠) وبيت الطيور على جامع إيازماغ (شكل٢٢) ومنها ما أخذ شكل المنزل الإسلامي ذي المشربيات وفتحات النوافذ ذات التشبيكات الهندسية البديعة التي تحيط به أو تظله من أعلى في شكل رفرف حجري بديع مزخرف بالنحت كما في بيت الطيور على خان قرا مصطفى باشا (شكل١٧).

٧– التخطيطات الداخلية

وأقصد بها توزيع العناصر الداخلية وخاصة (الأوكار) وهي وحدات سكن الطيور والملاحظ في هذه الوحدات أنها جاءت متساوية إلى حد كبير وقد تبينت ذلك من خلال نماذج بعض البيوت المتهدمة كذلك الموجود على واجهة منزل بجانب البازار الكبير (شكل١٢) حيث بينت بقاياه مساحات وأحجام تلك الوحدات بشكل تقريبي إذ جاءت الوحدة بمساحة ٥×١٠ سنتيمتر بارتفاع حوالى ٥ سنتيمتر وأحيانا تتسع هذه الأوكار لأكبر من ذلك حيث الأفراخ الصغيرة مع أمهاتها فيصل الوكر أحيانا إلى ١٥×١٠سنتيمتر بارتفاع حوالي ٨ سنتيمتر، وقد راعى المعمار في تخطيط هذه البيوت استمرارية دورة الهواء وذلك أن وضعية البيوت جاءت معظمها بارزة عن سمت الجدران فقد أتاح لها ذلك الوضع إشرافها على الخارج عبر ثلاث واجهات رئيسة لتكون عرضه لأشعة الشمس على مدار ساعات النهار وكذلك للتيارات الهوائية غير المباشرة، كما وفر لبعضها مظلة حجرية من هذه الأشعة جاءت مسطحة أحيانا ومائلة أحيانا أخرى ومنسدلة كالرفرف وجمالونية في بعض النماذج. أما صفوف هذه الأوكار بداخل تلك البيوت فقد تراوحت بين صف واحد إلى أربع صفوف وهي بالطبع تتناسب مع الأحجام الكلية لتلك البيوت والذي لم يتعد في كل الأحوال ٧٠ سنتيمتر من حيث الامتداد على الواجهات ورغم هذا الامتداد البسيط إلا أن بعضها نماذجها شهد أكثر من ثمانية عشرة وكرا كما في بيت الطيور على واجهة جامع لإله لي (شكل١٤)، وهناك البعض من هذه البيوت جاءت تخطيطاته مزدوجة أي عبارة عن وحدتين متماثلتان متكاملتان متلاصقتان كما في بيت الطيور على نفس الجامع [٣٦] أو منفصلتان كما في بيوت الطيور على كل من مدخل جامع ايازماغ (شكل٢٣) وبيت الطيور على مدخل جسر بايكشمك (شكل٥) والذي جاء عبارة عن زوجين متماثلين في كلا الجانبين، ومن العناصر التخطيطية الأخرى كذلك العناصر الحجرية البارزة التي تقف عليها الطيور أثناء الخروج والولوج للوكر وهي ما تشبه أغصان الأشجار حيث قام المعمار بتزويد بعض نماذج هذه البيوت ببروزات معمارية مستديرة الشكل تمكن الطيور من الوقوف عليها إلى جانب بيوتها كما زود بعض النماذج الأخرى بمناطق مسطحة مستطيلة تشبه بسطة الدرج وهي تتقدم الدرج الصاعد لهذه البيوت كما في بيت الطيور على جامع السليمية [٣٧] (شكل ١٣).

---

(٣٤) Yürekli, Z. (٢٠٠٣) "Abuilding between the Public and Private Realms of the Ottoman Elite: the Sufi Convent of Sokollu Mehmed Pasha in Istanbul" p.١٦٦, Muqarnas, Vol. ٢٠

(٣٥) Godfrey, G. (١٩٧١) "A history of Ottoman architecture, p. ٢٩, London.

(٣٦) freely, J. (٢٠٠٥) "History of Ottoman Architecture, p. ١٢٣, London.

(٣٧) Çelik, Z. (١٩٩٣) "The remaking of Istanbul: portrait of an Ottoman city in the nineteenth century" p. ٢١٤, California.

شكل رقم (٣٠) اسكيدار –جامع الوالدة الجديد (١٠٠٥–١٠١١ هـ/ ١٥٩٧–١٦٠٣ م)، (١٠٧١ –١٠٧٣ هـ/ ١٦٦١–١٦٦٣ م) – الواجهة الجنوبية الغربية.

٨– مواد وخامات البناء

يعتبر الحجر والجص والأخشاب هي المواد الأساسية والرئيسة التي بنيت منها بيوت الطيور وقد تستخدم المواد الثلاثة جنبا إلى جنب في بناء البيت الواحد من هذه البيوت غير أن غالبية النماذج خاصة المعقدة منها قد بنيت بالجص وذلك لسهولة تشكيل الزخارف والعناصر المعمارية المكونة للبيت والملاحظ أن البيوت الحجرية قد قلت فيها العناصر الزخرفية حيث شكل البيت في بعض النماذج بطريقة الحفر خاصة بالنسبة للأوكار والعناصر الزخرفية على حد سواء كما يبدو ذلك في بيت الطيور على مئذنة جامع الوالدة الجديد (شكل٢٨)، والملاحظ أيضا أنه كلما زاد حجم البيت كلما استخدم الجص بشكل رئيس وذلك نظرا لخفته وطواعيته في التشكيل ويدخل مع الجص كذلك مادة الخشب التي تمثل صلب الهيكل الداخلي حيث كان يتم وضع ألواح من الخشب بمقاسات معينة بشكل رأسي وكذلك أفقي كي يتم بواسطتها تحديد الشكل العام للبيت من الداخل ثم يتم طلاؤها بعد ذلك بمادة الجص وتستكمل الواجهات بعد ذلك كلها بمادة الجص ويتضح ذلك في نموذج بيت الطيور على المنزل المجاور للبازار الكبير (شكل١٢) وفي بيت الطيور على المبني المطل على فناء النعناع بقصر توبكابي (شكل٢٦)، وهناك عديد من أمثلة بيوت الطيور التي شهدتها العمائر العثمانية في اليونان وجدت مادة الأخشاب بها كمكون أساسي لهذه البيوت [٣٨].

شكل رقم (٣١) اسكيدار –جامع الوالدة الجديد (١٠٠٥–١٠١١ هـ/ ١٥٩٧–١٦٠٣ م)، (١٠٧١ –١٠٧٣ هـ/١٦٦١–١٦٦٣ م) – الواجهة الشمالية الغربية.

أما بالنسبة لمادة الحجر فقد كانت تصنع البيوت الحجرية في الغالب بطريقتين الأولى تكون فيها هذه البيوت عبارة عن مدماك حجري بنفس مقاييس وأحجام مداميك البناء العادية ويتم تحديد واجهته بشكل زخرفي ثم يتم حفر مجموعة الأوكار بشكل بسيط بعمق ١٠ سنتيمتر أو أكثر في مستوى واحد أو أكثر من مستوى ثم يوضع المدماك في المكان المرقوم لتستغله الطيور كأعشاش لها ومن أبرز أمثلة ذلك بيت الطيور على كنيس بلاط اليهودية (شكل١٩)، أما الطريقة الثانية فيتكون البيت فيها من كتلة حجرية واحدة ذات أبعاد ومقاييس مختلفة عن أبعاد ومقاييس مداميك البناء العادية ويتم تجهيزها بطريقة النحت بحسب التصميمات والأشكال المطلوبة ثم

(٣٨) Michael, K. and Hampshire, A" (١٩٩٠) Studies on the Ottoman Architecture of the Balkans" p.١١, USA.

يتم رفعها بعد ذلك لتوضع في المكان المرقوم بواجهة البناء ومن أمثلة ذلك بيت الطيور على جامع مصطفى أفندي [٣٩] (شكل٣٣)، أما البيوت الجصية المصنوعة بالكامل من الجص فقد كانت تتم بوضع الكتل الجصية بإحدى طريقتين الأولى أن توضع الكتل الجصية الصماء على العمارة أولا ثم يتم نحتها لإبراز وتجسيم الزخارف والوحدات المكونة للبيت كما في بيت الطيور على مبني ضمن الجناح الإمبراطوري بقصر توبكابي (شكل٢٧)، أما الطريقة الثانية فكانت تتم بصناعة البيت سلفا وزخرفته وتجهيزه ثم يتم رفعه وتثبيته على الجدار كما في بيت الطيور على واجهة مدخل قنطرة بايكشمك (شكل٥)، والجدير بالذكر أن كافة هذه البيوت بصفة عامة قد كانت خفيفة الوزن حتى تلك التي كانت تبرز كثيرا عن سمت الواجهات الموجودة بها وذلك أنها مصنوعة من الجص فقط أو من الجص والخشب معا وهما مادتان تتميزان بخفة الوزن، كما أن طريقة الصناعة كانت تتم بتفريغ التخانات الداخلية سواء في الجص أو في الحجر وهو ما ساعد كذلك على خفة الأوزان.

٩– الأحجام والمقاسات

تميزت بيوت الطيور موضوع الدراسة والتي تعبر عن غالبية النماذج الموجودة في تركيا وربما غيرها من المدن التي شهدت مثل هذه النوعية من البيوت من تلك الفترة بأن أحجامها صغيرة وذلك أنها بنيت خصيصا للطيور الصغيرة التي كانت تعيش في تركيا أوته اجر منها وإليها وبمقارنة البيوت موضوع الدراسة وجدت أن امتداداتها على الواجهات لا يتعدى ٧٠ سنتيمتر تقريبا فأدنى كما أن بروزها عن سمت هذه الواجهات لا يتعدى ٤٠ سنتيمتر تقريبا أما ارتفاعاتها على الواجهات فقد وصل أحيانا إلى ٧٠ سنتيمتر تقريبا في بعض النماذج كبيت الطيور المبني على أحد أبنية الجناح الإمبراطوري بقصر توبكابي [٤٠] (شكل٢٧) فيما لم تبرز النماذج المبكرة عن سمت الجدران حيث إنها عبارة عن مجموعة من الأوكار المحفورة في المداميك الحجرية التي تشكل صلب العمارة، هذا فيما يتعلق بالشكل الخارجي أما بالنسبة لأبعاد وحداتها فهي تختلف باختلاف الحجم العام للبيت إذ لوحظ أن البيوت الكبيرة تتميز أوكارها بالمساحات الواسعة التي قد تصل أحيانا إلى ١٠× ٨ سنتيمتر تقريبا وبارتفاع حوالي ٨ سنتيمتر أما البيوت الصغيرة فلم تتعد مساحات أوكارها ٨×٥ سنتيمتر تقريبا ولا يزيد ارتفاعها عن ٨ سنتيمتر أيضا وهذه المقاييس بالإضافة لكونها تتيح للمعمار تخليق أكبر عدد من الأوكار في أضيق المساحات فإنها تتناسب كذلك مع أحجام الطيور المنفردة أو تلك التي ربما تعيش في عائلات أو تلك الأخرى التي قد تكون مع أفراخها، وفي ذات الوقت فإن هذه المساحات وبهذه التصميمات المتلاصقة والمتراصة جنبا إلى جنب تتيح نوعا من الدفء سواء على المستوى الفردي أو الجماعي لمجموعة السكان من الطيور، أما بالنسبة لارتفاع هذه البيوت عن مستوى سطح الأرض الخاص بالمنشأة فقد اتحدت جميعها في تلك الوضعية إذ إن غالبيتها العظمى موجود في الثلث العلوي من المنشآت مع بعض الاختلافات فالبعض منها مشيد بمجازاة قمم عقود فتحات النوافذ العليا كما في أحد النماذج المبنية على جامع الوالدة (شكل٣٠) وجامع نور عثمانية (شكل١٥) والبعض منها مشيد أسفل إفريز السقف مباشرة كما في بيت الطيور على مدرسة أمجازاد (شكل١١) وبيت الطيور على كنيس بلاط (شكل١٩) وبيت الطيور على واجهة قصر إسحاق باشا (شكل١٠) وقد كان ذلك الموضع هو المفضل على الدوام وذلك حتى تكون هذه البيوت في منأى عن أيدي العابثين سواء كانوا بشرا أو حيوانات كالقطط والبوم والصقور والجرذان والأفاعي وغيرها من آكلات البيض أو الأفراخ الصغيرة، كما أن هذه الوضعية تتيح لأشعة الشمس استمرارية الدخول للبيت على مدار أغلب ساعات النهار خاصة في تركيا التي تتميز بمناخها البارد بصفة عامة، أيضا فإن هذا الارتفاع ينأي بها عن الرطوبات الأرضية وكلها عوامل قد تساعد في هجران الطيور لهذه البيوت وهو ما لم يحدث مطلقاً حتى الآن كشاهد قوي ودليل واضح على عبقرية المعمار والفنان المسلم.

---

(٣٩) Erzen, J. N. (١٩٩١) "Aesthetics and aesthesis in ottoman art and architecture" p, ١٧٠ Journal of Islamic Studies Vol.٢, No. ١.

(٤٠) UNESCO, (١٩٩٣) "International Campaign for Istanbul Topkapi and Yaldiz Palaces" p.٨, Istanbul.

شكل رقم (٣٢) اسكيدار –جامع الوالدة الجديد (١٠٠٥–١٠١١ هـ/ ١٥٩٧–١٦٠٣ م)، (١٠٧١ –١٠٧٣ هـ/ ١٦٦١–١٦٦٣ م) –سبيل للطيور.

١٠– المعالجات الفنية والزخرفية والمعمارية

لا يخفى على دارسي الفنون الإسلامية كيف كان الفنان المسلم يميل دائما إلى الدقة في عملة وإتقانه لأبعد الحدود وتنميقه وتجويده على أحسن ما يكون بل إنه أحيانا كان يزخرف ويجمل كثيرا من الأماكن التي ربما لا تبدو للعيان مباشرة وقد كانت كل هذه المبادئ نابعة من مبادئ وأسس العقيدة الإسلامية ومن المؤكد أن بيوت الطيور هذه التي هي موضوع الدراسة تعتبر إحدى إبداعاته الجمالية والزخرفية التي عبرت في ذات الوقت عن كلا الجانبين الوظيفي والجمالي، ورغم أنها بالجملة وككتلة معمارية واحدة تعتبر عنصرا زخرفيا تتجمل به واجهات العمائر فإنه لم يتركها هكذا دون تنميق وزخرفة فأضاف إليها كافة العناصر والمقومات الزخرفية والجمالية التي تضفي عليها رونقا وجمالا، ولم تأت هذه العناصر فقط لمجرد الزخرف ولكننا إذا دققنا النظر فيها وجدناها عناصر أساسية وضرورية لهذه البيوت ومن ذلك مثلا الكوابيل وهي عنصر معماري يستخدم في حمل البروزات المعمارية التي تبرز عن سمت الجدران نجدها في العديد من نماذج تلك البيوت موضوعة بشكل وظيفي وفي ذات الوقت شكلت وحداتها ونحتت في هيئات زخرفية بديعة ومتنوعة ومن أجمل نماذجها ما يدنو بيوت الطيور على واجهات جامع إيازماغ (أشكال٢٢، ٢٤)، وما يدنو بيت الطيور على واجهة مكتبة رجب باشا (شكل٢٥) ومن تلك العناصر أيضا الواجهات الحجرية المنحوتة بالتفريغ التي تشبه شقق دراوي المآذن المملوكية في مصر والشام حيث استخدمت هذه الشقق كستائر لحماية الطيور من خلفها من أشعة الشمس ومن التيارات الهوائية المباشرة وكأنها تشبه المشربيات في البيوت السكنية ذات الطراز الإسلامي ومن أروع نماذجها ما يوجد في بيوت الطيور على جامع إيازماغ (شكل٢٤)، وأحد نماذج بيوت الطيور على جامع الوالدة الجديد (شكل٣٠) وقد نوع الفنان في طراز الزخارف المفرغة ما بين خرط أبي جترير والطبق النجمي البسيط (شكل٧)، والمعينات المتتالية (شكل٨)، ويلاحظ كذلك في أشكال البيوت أن العديد من نماذجها نفذ على عدة مستويات سواء بشكل رأسي أو أفقي بين البروز للأمام والارتداد للخلف وذلك لإكسابها نوعاً من المتانة وفي ذات الوقت لإبرازها في شكل جمالي ولإعطاء نوع من التناسق والتناغم الضوئي من خلال درجات الظل والنور (شكل ١٣).

شكل رقم (٣٣) خيربولو –جامع مصطفى أفندي (١٠٢٧ هـ/ ١٦١٨ م) الواجهة الشمالية.

ومن المعالجات الفنية أيضا ما قام به المعمار من تنويع في وسائل تغطية هذه البيوت فبينما نجده استخدم شكل القباب مختلفة الأحجام ذات الأهلة في بعض بيوت الطيور على جامع إيازماغ (شكل٢٢) وبعض بيوت الطيور على جامع الوالدة الجديد (شكل٢٩) نجده يستخدم أشكالا مخروطية تشبه قمم المآذن كما في بيت الطيور بقصر توبكابي (شكل٢٧) وبيت الطيور على المنزل المقابل للبازار الكبير بمنطقة أميرجان (شكل١٢)، واستخدمت كذلك الأسقف الجمالونية كما في سقف بيت الطيور على قصر إسحق باشا (شكل١٠) واستخدمت كذلك الأسقف المسطحة في العديد من النماذج ومن أبرزها بيت الطيور على جامع بالي باشا (شكل٤)، وبجانب استخدام القباب كشكل زخرفي في الأسقف نجد المعمار يستخدم عديدا من العناصر المعمارية المميزة للعمارة الإسلامية بصفة عامة كعناصر تزيينية كالمآذن ذات الطراز العثماني الفريد التي استخدمها في تزيين جانبي البيت كما في بيت الطيور على بازار البهار (شكل٩)، وكأنها توحي بأن البيت هو مسجد خاصة حينما تمتزج القباب مع المآذن كما في بيتي الطيور على جامع الوالدة الجديد (أشكال٢٩، ٣٠)، كما ظهرت أيضا عديد من المعالجات الفنية والزخرفية الأخرى كبناء درج مصغر يفضي إلى داخل البيت كما في بيوت الطيور على كل من كنيسة أهريدا المسيحية (شكل٢٠) وجامع إيازماغ (شكل٢٢) وبازار البهار (شكل٩) وجامع السليمية (شكل١٣) الذي شكل المعمار قاعدة البيت فيه على هيئة زهرة تتفتح ويخرج منها هذا البيت، هذا بالطبع إضافة لمختلف نوعيات العقود المسننة (شكل٢٨) والمدببة (شكل١٦) والنصف دائرية المرتكزة على أعمدة ذات تيجان (شكل٢٧) وكرانيش وأفاريز متعددة المستويات (شكل١٣) ونهود مفصصة (شكل٢٨) وأعواد حجرية بسيطة بارزة بغرض وقوف الطيور عليها (شكل٢٥) وكذلك الأوراق النباتية الثلاثية (شكل٢٨) وفتحات النوافذ المستديرة (شكل٣٠) والمربعة (شكل٢٩) والمستطيلة (شكل ٢٧) ذات التغشيات الهندسية المفرغة في الجص والحجر على حد سواء.

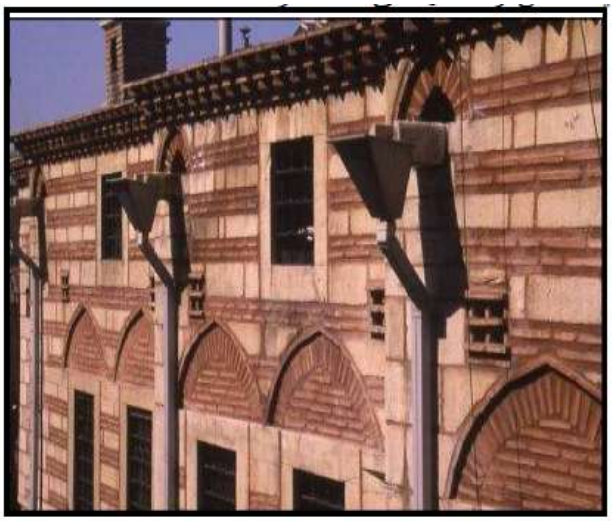

شكل رقم (٣٤) طاشان –خان النافورة (١١٧٦ هـ/ ١٧٦٣ م) – الواجهة الشرقية

١١- التأثيرات الفنية

حملت هذه البيوت العديد من المؤثرات الفنية وذلك على اعتبارها جزءا من الآثار التي شيدت بها وقد تجلت هذه التأثيرات على البيوت متمثلة في ثلاثة تأثيرات فنية هامة وهي الطراز الإسلامي وطراز الباروك العثماني وطراز الروكوكو الأوربي ولكل طراز من هذه الطرز معالمه المختلفة التي ظهرت على البيوت ويأتي الطراز الإسلامي على رأسها وتمثلت معالمه في أغلب نماذج بيوت الطيور بصفة عامة ومنها النماذج الموجودة على جامع الوالدة الجديد (أشكال٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١) وجامع مصطفى أفندي (شكل٣٣) و جامع بالي باشا (شكل٤) وجامع السلطان بايزيد (شكل٣) والجامع الكبير (شكل٢١) وبازار البهار (شكل٩) وعلى بعض نماذج جامع إيازماغ (أشكال٢٢، ٢٤) حيث القباب والمآذن ذات الأهلة والتغشيات الحجرية والجصية والنهود والأوراق النباتية الثلاثية وزخارف التوريق العربية (شكل٣٢) والكوابيل والعقود المدببة والرفارف (شكل١٧) والمشربيات والزخارف الهندسية كالأطباق النجمية البسيطة (شكل٣) والمركبة (شكل٩) والتفريغات الحجرية والقندليات البسيطة (شكل١٢) والشقق الحجرية (أشكال٣، ٤) وكلها عناصر إسلامية صرفة تؤكد على استمرارية سيادة الطراز الإسلامي حتى القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك أيضا، إذ بدأت تتسرب التأثيرات الأوربية للطراز الإسلامي تدريجيا فيظهر ما عرف في الطرز الفنية بطراز الباروك العثماني الذي بدأ يتبلور كطراز له معالمه المميزة مع بدايات النصف الثاني من القرن السابع عشر [٤١] وفيما بعد ذلك وحتى منتصف القرن الثامن عشر تقريبا، وتبدو المنشآت المبنية وفق هذا الطراز إسلامية في ثوب شبه أوربي إذ لم تكن التأثيرات الأوربية تظهر بقوة وجرأة آنذاك على العمارة الإسلامية بصفة عامة والعثمانية التركية على وجه الخصوص كما ستبدو فيما بعد ذلك، ومن نماذج بيوت الطيور التي شهدت هذه التأثيرات بيوت الطيور على كل من جامع أبي أيوب الأنصاري (شكل٢) وبعض النماذج على جامع إيازماغ (شكل٢٣) وبيت الطيور على المبنى الموجود بالجناح الإمبراطوري بقصر توبكابي (شكل٢٧) وتمثلت معظم هذه التأثيرات في الكرانيش البسيطة ذات الأسنان (شكل١٤) والأسقف الجمالونية (شكل١٠) والجبهات المثلثة البسيطة (شكل٢٦)، ومع نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر تبدو التأثيرات الأوربية على أشد ما يكون حيث حدثت التحولات الكبرى في العمارة الإسلامية نحو الطرز الغربية فتبدو كافة التأثيرات الأوربية على مختلف نوعيات العمائر وكل ما تحتويه من مكملات معمارية وإنشائية وأثاث [٤٢] وغير ذلك وتبدو هذه التأثيرات واضحة لنا في نموذجين هامين من نماذج بيوت الطيور موضوع الدراسة حيث البيت المشيد على واجهة جامع سليم الثالث (شكل١٣) والبيت المشيد على واجهة أحد مباني الجناح الإمبراطوري بقصر توبكابي (شكل٢٧) وتبدو في الأول التأثيرات الأوربية متمثلة في القاعدة شبه المستديرة التي شكلت على هيئة زهرة متفتحة متعددة الأوراق، وكذلك شكل الواجهة ذات الانحناءات والارتدادات التي تتوجها وتقسمها أفقيا الكرانيش والأفاريز متعددة المستويات، وكذلك الفصوص المعمارية التي تقسم ذات الواجهة رأسيا فيعطيها كل ذلك نوعا من التناغم اللوني وذلك بسبب وجود الظل والنور في آن واحد، ويبدو في النموذج الثاني بالإضافة لكل ذلك أيضا كثير من هذه التأثيرات حيث يبدو كأنه قصر من القصور القوطية ذات الأبراج الجانبية المزخرفة بإسراف إذ تتعدد البلكونات شبه المستديرة ذات التفريغات الجصية الأوربية والكرانيش ذات الأسنان الدقيقة والمركبة والأعمدة والفصوص ذات التيجان المتنوعة والأشكال المحارية المختلفة والأسقف ذات القمم المدببة وفتحات النوافذ المستطيلة الواسعة المحلاة بزخارف هندسية مفرغة غاية في الدقة والإتقان والجمال.

نتائج الدراسة

وبعد فقد اهتمت هذه الدراسة بتحفة من التحف المعمارية التي كانت لها عديد من الدلالات الحضارية والدينية والفنية فقد دعمت الدراسة نظرية حب المسلمين للطيور وعنايتهم بها تحت مختلف الدوافع، كما ألقت أضواءً جديدة أيضا على مظهر فريد من مظاهر هذه العناية وهو بيوت الطيور التي أحصي منها ما يزيد عن العشرين شاهدا على مختلف نوعيات العمائر الدينية كالمساجد والكنائس والمعابد وكذلك المدنية كالجسور والقصور والمنازل والمدارس والأسبلة والخانات والمكتبات وقد قمت بنشر وتوثيق ودراسة هذه النماذج دراسة علمية مقارنة في إطار آثاري وحضاري حيث بينت أحجام ومقاسات وطرق ومواد بناء وزخرفة وتصميم هذه البيوت

---

(٤١) Bussagli, M. & Reiche, M. (٢٠٠٩) "Baro-que & Rococo" p. ٥١, New York.

(٤٢) Quataert, D. (٢٠٠٠) "The Ottoman Empire، ١٧٠٠-١٩٢٢" , p. ٦٤, Cambridge.

وتوصيفها توصيفا منهجيا من حيث بداية ظهورها وأنماطها المتنوعة ووضعياتها بالنسبة للواجهات وأشهر المدن والمناطق التي شهدتها ومراحل تطورها على العمارة العثمانية، ومعالجاتها الفنية والمعمارية وكذلك عناصرها ومكوناتها المعمارية والزخرفية كما أثبتت الدراسة مدى تأثر هذه البيوت بمختلف المتغيرات الفنية خاصة ما يتعلق بالطرز المعمارية وأهم ملامح هذه الطرز التي انعكست على تلك البيوت، أيضا أوضحت الدراسة مدى قوة الطراز الإسلامي واستمرارية سيادة عناصره ووحداته المعمارية والزخرفية الفنية رغم كثرة المؤثرات الغربية الوافدة على العمارة العثمانية.

قائمة المراجع والمصادر

المراجع العربية

(١) القرآن الكريم

(٢) إبن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن ابن على ابن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، ١٩٩٢م.

(٣) العسقلاني، الحافظ أحمد بن على بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت ١٩٨٣.

(٤) القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩٢٢.

(٥) المقريزي، تقي الدين أحمد أبو العباس المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بتحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن، ١٩٩٢.

(٦) حسن، زكي محمد، كنوز الفاطميين، القاهرة، ١٩٣٧م.

(٧) عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر في العصور الوسطى، القاهرة،١٩٩٠م.

(٨) عبد الوهاب، حسن، تنظيم القاهرة وتخطيطها منذ نشأتها وحتى عصر محمد على، مقال ضمن دورية المجمع العلمي المصري عدد ١٢ سنة ١٩٦٨م.

المراجع الأجنبية

Aga-oglu, M. (١٩٩٩) "About a type of Islamic Incense Burners" Art Bulletin, Vol.١٤, No. ١, pp.٣١٤-٣٣٢.

Amirkhani, A., Okhovat, H. and Zamani, E. (٢٠١٠) "Ancient Pigeon Houses: Remarkable

Example of the Asian Culture Crystallized in the Architecture of Iran and Central Anatolia", Asian Culture and History, Vol. ٢, No. ٢, pp. ٢٣٣-٢٦٥.

Bussagli, M. and Reiche, M. (٢٠٠٩) "Baroque & Rococo" New York.

C. Lincoln, F. (١٩٣٥) "Migration of the birds" U.S.A.

Çelik, Z. (١٩٩٢) "Displaying the Orient: Architecture of Islam at Nineteenth-Century World's Fairs", University of California Press.

Çelik, Z. (١٩٩٣) "The remaking of Istanbul: portrait of an Ottoman city in the nineteenth century", University of California press.

Dagdeviren, S. (١٩٨٩) Castles in the Air" Saudi Aramco World

Erzen, J. N. (١٩٩١) "aesthetics and aesthesis in ottoman art and architecture" Journal of Islamic Studies Vol. ٢, No. ١, pp .٢٢٠-٢٥٧.

Freely, J. (٢٠٠٥) "History of Ottoman Architecture" London.

Godfrey, G. (١٩٧١) "A History of Ottoman architecture" London.

Mayer, L. A. (١٩٣٣) "Saracenic Heraldry", Oxford.

Michael, K. & Hampshire, A. (١٩٩٠) "Studies on the Ottoman Architecture of the Balkans" U.S.A..

Orsi, G. (٢٠٠١) "saving Europe's most threatened birds: Progress in implementing

European species action plans" oxford.

Ottodorn, K. (١٩٧٨/١٩٧٩) "Figural Stone relief's on Seljuk sacred architecture in Anatolia", Kunst des Orients, Vol. ١٢، N. ١/٢, pp. ١٢-٢٣.

Pope, A. U. (١٩٣٤) "the Historic Significance of Stucco Decoration in Persian Architecture" p.٣٣٠, the Art Bulletin، Vol. ١٦, No. ٤.

Quataert, D. (٢٠٠٠) "The Ottoman Empire ١٧٠٠-١٩٢٢ Cambridge.

UNESCO, (١٩٩٣) "International Campaign for Istanbul Topkapi and Yaldiz Palaces" Istanbul.

Venable, N. J. (١٩٩٦) "birds of bray" U.S.A..

Yürekli, Z. (٢٠٠٣)"Abuilding between the Public and Private Realms of the Ottoman Elite: the Sufi Convent of Sokollu Mehmed Pasha in Istanbul", Muqarnas، Vol. ٢٠, pp .٢٤-٣٧.

Houses Birds: Archaeological and Civilized Study

I. S. Ghandar

Faculty of Arts and Humanities, Jazan University, Kingdom of Saudi Arabia

Faculty of archaeology, Fayoum University, Egypt

Abstract

Research deals with one of the Muslim artist creations on the architecture this is the bird house and from the civilized, archaeological and artistically sides, the research casts new light on the Muslim passion for birds and the various motives for this love and the manifestations of this estimate, which culminated in the establishment of houses for these birds decorated various types of buildings, also the research focus on a number of models of these birdhouse representing different stages of the origins and evolution of these houses since the beginning of its appearance and even reached the summit of evolution and also the methods of construction and designs and its decorative elements, and its various places on the buildings also its civilized and social implications

Keyword: Bird Houses - sizes - planes - designs - its standards - heights - their positions –construction materials - implications - art processors

البريد الإلكتروني: **ibrahim@jazanu.edu.sa** ردمد: ١٦٥٨–٦٠٦٥